**زعيم الامة وقائد الثورة**

**الشيخ سعد زغلول باشا**

**ابن الازهر الشريف**

**كثيرون هم الزعماء والقادة الذين انجبتهم مصر والذين فتح الشعب لهم ابواب العقول والقلوب غير ان سعد زغلول قد تميز وامتاز من بين هؤلاء الزعماء والقادة بانه لم يكن زعيما لنخبة او صفوة ولا قائدا لحزب او طبقة ولا فقيها لمذهب ولا منظرا " لأيديولوجية " وانما كان القائد المحبوب وليس فقط المقبول من الامة والكافة والعامة والجمهور لقد فتحت له الامة عقولها واسكنته فى قلوبها واحتضنته فى ضمائرها ورات فيه غزال البر فتطلعت الى عين الشمس كى تظلله فى العدوات والروحات**

**وكما علقت عليه الامة امالها فلقد منحته الحب والاحترام معا بل وكانت تخاف عليه من كل سوء وتغار عليه من المنافسين فضلا عن الخصوم**

**لقد تنازعت انتسابه اليها كل الطبقات والتوجهات والديانات المسلمون والنصارى المثقفون والعامة المعممون والمطربشون الطبقات العليا والفلاحون والعمال الصنايعية حتى لقد افتخر هو بانتمائه الى الرعاع فقال وهو يخطب " إننى أفرح كثيرا وأسر كثيراكلما شعرت ان هذه الحركة والثورة والنهضة ليست فيما يسمونه بالكبقة العليا فقط بل هى منبثة ايضا وعلى الاخص فى الطبقة التى سماها حسادنا " طبقة الرعاع " وافتخر بأنى من الرعاع مثلكم فانخرط العمال فى هتاف متكرر " ليحيا سعد زعيم الرعاع " ولغل سعدا كان الزعيم الوحيد بين زعماء مصر الحديثة الذى تعلقت به الجماهير التى لا علاقة لها بالسياسة او الحزبيه فتحالفت العواطف مع الوعى على جعل الفطرة الشعبية تتعلق به وكانه اسطورة من الاساطير فى حياة هذه الجماهير**

**لقد ولدت بالريف بعد وفاة سعد زغلول بأربع سنوات ولقد وعت ذاكرتى مكانة سعد زغلول كبطل اسطورى تحكى حوله الكرامات وخوارق العادات فى مناخ تطغى عليه الامية ولا يوجد فيه تنظيم لحزب الوفد بل لاتوجد فيه سوى فطرة الناس البسطاء فحتى اصوات الحيوانات تهتف بحياة سعد وحتى اوراق المزروعات تنبت وتتفتح ومكتوب عليها يحيا سعد وذلك فضلا عن الاغانى الشعبية التى تعبر بالحب لسعد زغلول عن مكانته المتفرجة فى قلوب الكافة من الناس**

**ولعل هذه الحقيقة من حقائق تميز وامتياز زعامة سعد زغلول ان تجد من الدارسين والدارسات التى تكشف عن اسبابها واسرارها**

**فهو لم يكن الفلاح الوحيد الذى يقود الامة ولم يكن الازهرى الوحيد الذى تتعلق به امال الكافة ولم يكن السياسى الوحيد الذى يتصدى للاجيال للاحتلال والاستعمار وانما كان المتفرد بين هذه الزعامات بالمكانة التى خصته بها الامة من بين مواكب الزعماء والقادة الذين انجبتهم مصر الولود**

**اما هذه الصفحات المحدودة فإن مقاصدها المحددة هى الكشف عن الاثر الاسلامى للتعليم الازهرى على هذا الزعيم الشيخ سعد زغلول باشا ابن الازهر الشريف**

**لقد ولد سعد زغلول ( 1273 – 1857 م ) فى قرية إبيانة مركز فوة محافظة الغربية كفر الشيخ حاليا إبان حكم الخيديوى سعيد ( 1237 – 1279 1822 – 1863 م ) لمصر وكانت مصر يومئذ ولاية لها استقلالها الذاتى فى اطار الامبراطورية العثمانية**

**وكان والده ابراهيم زغلول عمدة القرية فوهبه للعلم الدينى والدراتسة بالازهر الشريف**

**فدخل سعج كتاب القرية وهو فى السابعة من عمره وقضى به خمس سنوات حفظ فيها القران الكريم**

**وفى سنة ( 1287 – 1870 م ) عُين اخوه الاكبر الشناوى افندى رئيسا لمجلس مركز دسوق المجاور لمركز فوة فاصطحب الشناوى افندى معه اخاه سعد والحقه بالجامع الدسوقى التابع للازهر الشريف فبدأ فيه تجويد القران الكريم واذكر اننا ونحن طلاب بمعهد دسوق الدينى الابتدائى بين سنة ( 1364 / 1945 م ) وسنة ( 1368 – 1949 م ) اننا كنا نمر على منزل ظهرت عليه اثار القدم قالوا لنا إنه المنزل الاذى كان يسكن فيه سعد زغلول عندما بدأ رحلته الدراسية فى الازهر الشريف بمدينة دسوق**

**وفى سنة ( 1290 – 1873 م ) انتقل سعد زغلول من الدراسة بالجامع الدسوقى الى الدراسة بالجامع الازهر بالقاهرة فبدأ تلقى دروس الفقه على مذهب الامام الشافعى فى زاوية العدوى بالقرب من الجامع الازهر ثم انتقل الى الدراسة فى ذات الجامع الازهر**

**وكان الطالب فى ذلك التاريخ هو الذى يختار شيخه والحلقة التى يتلقة فيها دروسه ويختار ايضا العلوم والكتب التى يريد مواصلة دراستها والتخصص فيها**

**وفى ذلك التاريخ كان جمال الدين الافغانى ( 1254 – 1314 / 1838 – 1897 م ) قد استقر به المقام فى مصر وانتظمت دروس علمه وتجديده وثوريته فى منزله قريبا من الجامع الازهر وكان الشيخ محمد عبده ( 1266 – 1323 / 1849 – 1905 ) الطالب الازهرى الذى يكبر سعد زغلول بعشر سنوات قد اصبح انجب تلاميذ جمال الدين الافغانى حتى كان قبل تخرجه من الازهر يعقد حلقة درس بالجامع الازهر يعيد فيها على الطلاب ما سمعه من استاذه الافغانى من علوم وفنون كانت غريبة على عن المناهج الازهرية فى ذلك الحين فتتلمذ عليه فى هذه الحلقة الطالب سعد زغلول وقادته هذه التلمذة الى دروس موقظ الشرق وفيلسوف الاسلام جمال الدين الافغانى**

**وكما كان محمد عبده انجب تلاميذ الافغانى واقربهم الى قلبه اصبح سعد زغلول انجب تلاميذ محمد عبده بل لقد صار محمد عبده بالنسبة له ابا وشيخا وائدا ومربيا**

**وعلى يدى جمال الدين الافعانى ومحمد عبده اصبح الشيخ سعد زغلول طالب الازهر واحدا من دعاة الاصلاح وواحدا من الذين تعلموا فن الكتابة وصناعة الإنشاء وتحرير المقالات وبتشحيع من الافغانى نشرت له صحيفة ( التجارة ) التى كانت احدى الصحف التى اصدرها الافغانى بالاسكندريه ورأس تحريرها أديب اسحق ( 1272 – 1303 / 1856 – 1885 م ) وسليم نقاش 1301 ( – 1885م ) نشرت للشيخ سعد مقالا عن الحرية علق عليه استاذه الافغانى فقال " إنه مما يدل على ان الحرية ناشئة فى مصر ان يجيد عنها هذا الناشىء سعد زغلول فكانت الحرية عى الباب الذى ولج منه الشيخ سعد الى عالم الاصلاح والابداع**

**ولان هذا اللحزب الاصلاحى كان يعوْل عليه فى الدعوة الاصلاحية على تجديد مناهج المؤسسة العلمية الام الازهر الشريف كطريق لإصلاح وتجديد دنيا المسلمين كتب الطالب الشبخ سعد زغلول منشورا يدعوا فيه الى اصلاح الازهر الشريف ونسخ منه سبع نسخ وعلقها ليلا على اعمدة الجامع الازهر ليقرأها الطلاب فى الصباح**

**ومع التحرير فى الصحف والانخراط فى الدعوة الى الاصلاح التعليمى والفكرى والوطنى توجه الطالب الشيخ سعد زغلول الى حقل التأليف فكانت باكورة ناليفه كتاب فى فقه الشافعية ولقد طبع هذا الكتاب ونفدت طبعته الاولى وكان الامام الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ( 1298 – 1364 / 1881 –1945 م ) يحتفظ فى مكتبته بنسخه منه وذات يوم كان لطفى السيد باشا ( 1288 – 1382 / 1870 - 1963) يزو الشيخ المراغى بداره فى حلوان وجرى الحديث بينهما فى العلم والفلسفة والزعماء فقال لطفى السيد**

**ان بين الزعماء السياسيين نوابغ لو تفرغوا بعض الوقت للتاليف والانتاج لافادوا فائدة عظيمة**

**وهنا ابتسم الشيخ المراغى وقال له :**

**هل تعلم ان المرحوم سعد زغلول باشا الف كتاب فى الفقه**

**فشغف لطفى السيد للاطلاع على هذا الكتاب فقام الشيخ المراغى الى مكتبته واحضر الكتاب فتناوله لطفى السيد فى نهم وقلب صفحاته وهو يقول : عجيبة**

**وازاح لطفى السيد غلاف الكتاب وقرأ اسمه وقد كتب ناشر الكتاب تحت عنوانه مايلى :-**

**الفه الفقير الى الله تعالى الشيخ سعد زغلول الشافعى المذهب من طلاب الازهر الشريف**

**وبينما كان الشيخ سعد زغلول فى عام التخرج من الازهر الشريف وقبا اداء الامتحان العالمية تولى شيخه محمد عبده رئاسة تحرير صحيفة الوقائع المصرية فترك الشخ سعد زغلول الازهر واصبح محررا فى الوقائع منذ 5 اكتوبر 1880 وفيها تجلت مواهبه فى الكتابة والتحرير ولقد استمر فيها شيخا معمما الى 3 مايو 1882 حين عين ايام وزارة محمود سامى البارودى باشا ( 1255 – 1322 / 1839 – 1904 م ) معاونا بنظارة الداخلية فاصبح الشيخ سعد سعد افندى منذ ذلك التاريخ وان ظل فى نظر ولغة جمال الدين الافغانى ومحمد عبده الشيخ سعد دائما وابدا**

**وفى 6 سبتمبر 1882 م إبان المقاومة الوطنية للغزو الانجليزى لمصر انتقل سعد زغلول الى وظيفة باش معاون وتولى نظارة قلم القضايا بمديرية الجيزة وظل الموقع الاول والوظيفة الاساسية للشيخ سعد زغلول هى وظيفة المريد والتلميذ لوالده وشيخه ومربيه الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فانخرط معه فى الثورة العرابية والمقاومة للغزو الانجليزى ونادى بالجهاد الدينى ضد الانجليز ولعب دورا فى نقل الرسائل بين محمد عبده وقيادة الثورة بالقاهرة وبين زعيم الثورة وقائد الدهادية احمد عرابى باشا ( 1257 – 1329 / 1841 – 1911 ) فى جبهة القتال**

**وبعد هزيمة الثورة العرابية فى 14 سبتمبر 1882 م نال سعد زغلول مانال الثواتر ففصل من وظيفته فى 2 اكتوبر 1882 م وصدر بخقه قرار الحرمان المدنى فاتجه الى العمل الحر واشتغل بالمحاماة وافتتح مكتبا للدعاوى ثم قبض عليه فى 20 يونيه 1883 ك بتهمة عضوية جمعية سرية معادية ومقاومة للاحتلال الانجليزى اسمها جمعية الانتقام وقضى فى السجن ثلاثة اشهر حتى برأته المحكمة لعدم ثبوت ادلة الاتهام ولقد احرجت هذه البراءة سلطات الاحتلال فعدلت عن قرار نفيه الى السودان كما نفت استاذه وشيخه محمد عبده من البلاد**

**وعندما فك الانجليز سراح جمال الدين الافغانى من منفاه بالهند عقب هزيمة الثورة العرابية فغادر الهند الى اوروبا وكتب اثناء عبوره قناة السويس من ميناء بور سعيد او بورت سعيد كتب رسالة الى محمد عبده فى منفاه ببيروت بتاريخ ( 23 ستمبر 1883 م 22 ذى القعدة 1300 ) طالبا منه اللحاق به فى باريس وفى هذه الرسالة اثنى الافغانى على سعد زغلول فقال وأقنى على الشابين الاديبين السيد ابراهيم اللقانى والشيخ سعد زغلول**

**وطوال سنوات وجود محمد عبده بالمنفى كانت الصلات والمواسلات قائمة ودائمة بينه وبين الشيخ سعد زغلول وتاشهد هذه المراسلات على مكانة سعد من الاستاذ الامام وهى مكانة الابن والتلميذ والمريد والساعد الايمن والمؤتمن على الاسرار الذى يعهد اليه محمد عبده بالخاص والعام من المهام والشئون**

**واذا شئنا نماذج كم الرسائل الجوابية التى كتبها سعد الى استاذه وهو بيروت والتى تكشف عن مستوى هذه العلاقة فهذه ثلاث رسائل يبدأ الشيخ سعد واحدة منها مخاطبا شسخه محمد عبده بعبارة مولاى الافضل ووالدى الاكمل ويصف نفسه فيهما بأنه خريج حكم الاستاذ الامام والناشىء فى نعمه وصنيع ادابه والمحفوف بعنايته والمشمول بعين رعايته**

**ولقد كانت الرساتلة الاولى جوابا على اول رسالة كتبها محمد عبده من منفاه فى بيروت ونصها :**

**من مصر 24 ربيع الاخر 1399 الى بيروت**

**مولاى الافضل ووالدى الاكمل احسن الله معاداه بعد تقبيل الايدى الكريمة قد ورد الكتاب الكريم على طول تشوقنا اليه فتلوناه ووعيناه فى الفؤاد وحمدنا الله تعالى على ان شرفتم تلك الديار سالمين مبالغا فى فى إكرامكم والاحتفال بكم من كرام أعيانها المسلمين وأماجد نبائها المؤمنين جزاهم الله عن كل مصرى يعرف مقداركم بما تقبلوك به من كريم الاحافال وعظيم الاحلال السنة مرطبة بالثناء عليهم وضمائر مطوية على مزيد احترامهم وفائق تعظيمهم**

**صحتى البدنية معتدلة اما فكرى فقد تولاه الضعف من يوم ان صدع الفؤاد بالبعاد وتمثلت فيه بعد تلك الحقائق التى كانت تجلومطالعها معان نعرفها اوهاما يضيق بها الصدر ولا ينطلق بردها اللسان مخافة فوات مرغوب او لحاق مكروه مما تعلمون**

**توجهت اتلى البيك صاحب تاريخ العرب وسالته إعارته فأحاب بأن محمد سامى أخذه منه وسافر ولم يرده اليه ثم هو يسلم عليكم اطيبب السلام ويقول : انه مستعد لخدمة جنابكم فى اى شىء تريدون حسيا كان او معنويا وسأتحرى هذا الكتاب فى كتب سامى عنده بيعها فإذا وجدته فيها اشتريته وارسلته فى الحال الى حضراتكم او احضرلاته معى ان وافق ذلك استجماعى لوسائل السفر**

**الحال العمومية على ما تركتها غير ان الناس اخذوا فى نسيان ما فات من الحوادث واهوالها وقلت قالتهم فيها وخفت شماتة الشامتين منهم واصبح المادحون للانجليز من القادحين فيهم وبالعكس والكثير ياوقع انقلابا اصليا والله اعلم بما يكون**

**رفعت تحيتكم لجميع من ذكرتم فى الكتاب تصريحا وتلويحا فتقبلوها بمزيد المسرة والانشراح يسلم على جنابكم الصادق فى صدقاته ومودته حسين افندى وهو فى غاية من الصحة والعافية وقد عاد من الريف فرارا من شروراه اسفا على ما وقع لجنابكم اكثر من اسفه على نفسه الشيخ محمد خليل والشيخ عامر اسماعيل والشيخ حمادة الخولى والسيد عثمان شعيب والشيخ حسن الطويل ووالدى عبد الله واخواى شناوى وفتح الله وكثير غيرهم يقبلون يديكم ويسلمون عليكم ويقدمون مزيد تشكرهم لحضرات اولئك الكرام الاماجد الذين احسنوا وفادتكم واكرموا مثواكم زادهم الله كرما وكمالا**

**مولاى : ذكرت لحضرتك ان الضعف ألم بفكرى فبالله إلا ما قويته بتواصل المراسلة غير تارك فيها ما عودتنا على سماعه من النصائح والحكم التى نهتدى بها الى سواء السبيل ونتمكن بها من السير فى العالم المصرى الذى اختبرت حقائقه وعرفتخلائقه ومايناسبها من ضروب المعاملة وفقنا الله لمتابعتات ولا أطال على بلادك مدة غيبتك إنك امامها وان اقتدت بغيرك ومحبها الصادق وان لم تعرف بقدرك والسلام**

**ولدكم سعد زغلول**

**اما الرسالة الثانية وهى جوابية على رسالة من الاستاذ الامام الى الشيخ سعد فتاريخها 8 حمادى الاولى 1300 ونصها**

**مولاى الافضل والدى الاكمل احسن الله مابه**

**اكتب الى السيد الاستاذ بعد تقبيل يده الشريفة عن شكر مزيد لمكارمه التى لم يمنع من تواترها على صناعه تباعد الديار ولاتنائى البلدان معترفا بالعجز عن وفاء واجب الحمد مع الاعتقاد بان هذا لا يثنيه عن المكرمات يوليها والميزات يسديها فما يحسن محبة فى الاحسان ويببر شفقة بالانسان**

**تفضل ادام الله فضله على خريج حكمه الناشىء فى نعمه بكتاب هو المحكم اياته المعجز دلالته الاشافى لما فى الصدور الكاشف لحقائق الامور الهادى الى سبيل الرشد والى سراك مستقيم فسر لمراه سرور العليل بالشفاء وافاه وتلاه متدبرا دقيق معناه مكررا رقيق مبناه فازداد ايمانا بفضل مولاه ويقينا بحكمه من اوحاه وشكر الله على صحة من اهداه دامت نامية وارفة الظلال**

**وتكرم أبقى الله كرمه ببيان بعض اسماء الكملة الكرام الذين دارسوه فصولا من المروءة وابوابا من النجدة ومالهم من كمال الفضل ومافيهم من تمام العقل فرسمنا اسماءهم على صفخات القلوب وحفظنا امثلة فضائلهم فى الصدور وتشروقنا لان تتشرف ابصارنا برؤياهم كما تحلت بصائرنا بمعرفة اعلامهم ومزاياهم وما يحتاج فى إقناع النفوس بضعف تلك الحجة وان كانت تمكنت فى الاذهان الى قوة البيان فمعرفتهم بمقام فضله ومقدار حكمته ونبله كافية بذاتها فى الدلالة على نزاهة نفوسهم وطاهرة قلوبهم وغزارة فضلهم وسمو هقولهم ورجاخة هممهم وسجاحة شيمهم وفى توجيه ماثبت من الفساد فى اخلاق غيرهم الى اسباب اخرى نود ان يبينها الاستاذ الجليل فى كتاب مخصوص اذا وجد من الوقت مساعدا انما نحتاح الى قوة البيان فى هذا الموضصوع لنتبين كيف يكون تدارس المروءة بين الافاضل وتداول النجدة بين الكرام الاماثل فما رأيناك من قبل لدينا الا فاضلا كريما يدرس الفضائل بين من لا يعرفون للفضل مقدار ولا يفقهون للكرامة اعتبارا ولقد زادنى ميلا فى السفر وبغضا فى الحضر ما جاء فى وصف اولائك الاماجد ذوى النفوس الزكية والمحامد العلية وما تلاه من بيان حقيقة الامم ساقطى الهمم سافلى القيم جاهلى مقادير النعم غير انى عدلت عن داعيةهذا الميل امتثالا للامر وفى النفس حسرات لا يقاومها صبر وبها الى السفر اشواق لا يتناولها حصر**

**واحسن خلد الله احسانه على صنيع ادابه اليتيم فى اترابه بحكم من مثل التى تعودها عذاء للعقل ونورا للفكر فتلقاها بقلب شاكر وتقبلها بفؤاد حامد وحفظها فى الوجدان راجيا من اللهالتوفيق الى الاخذ بمعانيها والهداية الى اتباع ما فيها املا من مكارم موليها دوام تواليها**

**اسفت بل خجلت مما بلغ المقام الشريف عن الشيخ عبد الكريم الفاضل ثابتا صدقة بشاهدة من سئلوا من الصادقين ولولا التحقق من سعة بال الاستاذ الكريم ومن وثوقه بى فيما ارويه لكان الاسف مضاعفا**

**انى كما تعلمون كثير الاجتماع بهذا الشيخ وما سمعت منه مايقصد به من مقامكم الكريم ولم يتكلم امامى يوم ان بلغة خبر الاعتراف باليمين المعروف الا بما معناه الاسف والاشفاق من عاقبة هذا الاعتراف فلعل مابلغ المسامع الشريفة من هذا القبيل والسامعون لشدة حرفتهم وبلوغ الاسف من فؤادهم مبلغه انصرف خاطرهم عن رعاية مقام القول فتوجه ذهنهم الى مفهوم الكلام الحقيقى وطبقوا المقام على ما فهموه ولهم العذر فهم لم يتعودوا سماع كلام مثل هذا فى جانب حضرتكم ولو مرادا به غير حقيقة معناه ولم يألفوا تأويل الغبارات وصرفها عن ظواهرها ولم يعرفوا عادة ذلك تاشيخ فى كيفية تأدية مراده والعبارة فى حد ذاتها يصعب تأوليها الى غير المتبادر للافهام منها كل الصعوبة على من لم يكن ازهريا متعودا من الشيخ سماع افظع منها مفهوما واشنع تركيبا**

**وكيف ياتى له ارادة الظاهر مع علمه يكون ذلك لا يصدر الا عن لؤم طبيعة وخراب ذمة وسفاهة عقل ؟ انسى ما اوليته من كرائم النعم وجلائل الامم التى لا يزال متمتعا بها متفينا ظلالها وانك المؤرق اسفا المحترق حزنا حزنا المشفق عليه يوم وجدت اسمه مكتوبا فى تقارير اللئام حتى شغلك همه عن همك وسعيت وانت مسجون فى تنجيته من التهمة بواسطة المحامين ؟!**

**مانسى كل هذا وماقدم العهد عليه حتى ينقض ولاءك ويبتكر هجاءك ويمس مقامك فى بيت اواه ومنزل طالما رتع فى بحبوحة نعماه**

**فهذه العبارة ان صح النقل لا يمكن ان يكون المراد بها شىء وراء اعلان الاسف والاشفاق اما كونه لم يرسل خطابا فمولاى يرى انه من الادلة الصادقة على كزن ذلك الشيخ الفاضل صادقا فى ولائه حريصا على دوام تذكر اوليائه اذ لم يدعه الى ذلك الا تمام رغبته فى المحافظة على النعمة التى غرستم اصولها وانميتم فروعها ليكون على الدوام متذكرا لحقيقة مبدئها متصورا صورة منشئتها**

**اما كتاب الشيخ محمد خليل فقد علمت ما فى ارسال صورته من حسن التعليل وكمال التلطف فى التاديب على ما جرت به عادتكم الشريفة وقد طالعت هذه الصورة فرأيت انها من اقوى الادلة على شدة ميل صاحب الاصل الى الصدق ورغبته عن التمويه حيث اوضح حالة صادرا فى الايضاح عن الحق برهانا على شدة اخلاصه بإثبات العبارة التى نفيتها بين يدى حضرتكم فى الدائرة**

**فإن اثباتها لا يصدر الا عن تمام اخلاص لا يشوبه تمويه ومن هنا يتبين لحضرتكم سلامة نيته وحسن طويته اما عنوان الجواب فما اداه الى نسجه على ذلك الاسلوب الا اعتماده على معرفتكم بكونه من الصادقين المعظمين لجنابكم الكريم وعلى كل حال فنحن لا نستغنى عن كريم عفوك وجميل صفحك فإن لم تعف عنا وتصفح كنا من الخاسرين ان ظنكم فيما رايتموه فى جريدة البرهان هو الموافق للصواب وبحق لحضرتكم السرور بما نال ولدكم فهو الامتربى فى نعمتكم المغترف من بحار حكمتكم المحفوف بعنايتكم المشمول بعين رعايتكم البالغ ما بلغ ويبلغ من مراتب الكمال بحسن توجهاتكم وكريم تعاطفكم ادام الله لكل خير مبدأ**

**رفعت تحيتكم الى حضرات من ذكرتم اسماءهم واشرتم اليهم فتقبلوها بالاحترام وهم جميعا يقبلون يديكم ويسلمون عليكم واخص بالذكر منهم منبع الصفا ومصدر الوفا الذاكر لفضائلكم فى كل حين والدى حسين افندى وحضرة ولدكم الصثادق فى متابعتكم الشيخ عامر اسماعيل الذى امتن غاية الامتنان بما اختصصتموه به فى كتابكم الشريف وحضرة الشيخ سليمان العبد والسيبد امين افندى ونحن جميعا نرفع احسن التحيات وازكاها لحضرات الكرام الذين تشرفنا بمعرفة اسمائهم من الذين دارسوكم فصول الكرامات ونقدم لهم واجبات الاحتلاام ادامهم الله مثالا للفضل وعنوانا للكمال ونسلم على حضرات اخينا الفاضل ابراهيم افندى اللقانى وابراهيم افندى جاد ونجلكم الكريم وجميع من بميتكم حفظهم الله**

**احوالنا العمومية انتم اعلم بهما منا فى حاجة الى بيانها نرجو تفصيل احوالكم وماتشتغلون به من قراءة وتاليف اذا حسن لديكم**

**كتب سامى لم تشهر الى الان فى المزاد ولا زلت مراقبا لاشهاره**

**حضرة البك صاحب الكتاب توجه قبل ورود كتابكم الى البلد ولم يحضر الى الان وعند العلم بحضوره اتوجه اليه وارفع لحضرته مزيد تشكرتكم دامت معاليكم**

**افندم ( 8 ج ) سنة ( 1300) صنيعكم – سعد زغلول**

**ارجوا عدم انقطاع المراسلات واتمنى ان لا احرم كل اسبوع من كتاب تطمينا للخاطر وترويحا للفؤاد ولمولاى فى اجابة هذا الرجاء النظر العالى**

**( سعد )**

**اما هذه الرسالة الثالثة والتى اجاب بها سعد زغلول على رسالتين للاستاذ الامام ارسلتا فى شهر واحد وفى اسبةعين متواليين فإنهما ذات دلالة خاصة فى موضوعنا تأثير الدراسة الازهرية الشرعية على الشيخ سعد زغلول فعلاوة على شهادة هذه الرسالة على قيام سعد زغلول بواجبات الابن البار من والده من مثل ارسال " الفرش " واللوازم المنزلية من القاهرة الى بيروت عبر ميناء الاسكندرية وحديثها عن اشتغاله بالمحاماة وتحسن حالته المالية فإن فيها سطورا كثيرة يتحدث فيها سعد زغلول عن عقائد اسلامية يدور حولها الجدل فى علم الكلام وتصدر حولها الكتب ويناقشها اهل السنة والجماعة من مثل هقيدة " خلق القدرة " ولعلها عقيدة المعتزلة فى خلق الانسان لقدرته واستطاغته وافعاله الاختيارية وسعد يخمى فى هذه الرسالة مادار فى مصر يومئذ جدل حول هذه العقيدى ويطلب من استاذه محمد عبده ان يكتب فى هذا الموضوع شرحا كالذى سبق وكتبه على " شرح الدوانى للعقائد العضدية "**

**وفى هذه الرسالة يتكلم سعد زغلول بأسلوب البلغاء من الفلاسفة والمتكلمين كما ان فيها حديثا عن مقالات نشرها حمال الدين الافغانى عن حال مصر والامة وواجبات المرحلة لمواجهة هذا الذى حدث لمصر بعد الاحتلال وفى الرسالة اشارة الى تفرغ محمد عبده فى منفاه لمناجزة الاعداء ودعاء حزبه له بالفوز والنصر عليهم ونص الرسالة هو :**

**حضرة الاستاذ الفاضل والمولى الكريم**

**وبعدد تقبيل اليد الكريمة فقد ورد علينا كتابكم المؤرخ ( 11 ج ) والمؤرخ ( 18 ج ) وسررت غاية السرور بما احسنتم علينا به من اهداء الصورة التى حفظناها فى العيون وجعلناها بروازها من القوة الحاقزة لتكون على الدوام نصب الخاطر ولا بدع فهى مثال الكمال ومرآة الجلال وراموز الوقار وعنوان الاعتبار**

**ذكرت انك تفرغت لمناجزة الاعداء فدعونا الله تعالى لجنابكم بالفوز العظيم والنصر المبين وسألنا منه عناية تلزم اعمالك ورعاية ترافق آمالك**

**اطلعنا على مقالة السيد فى جريدة البصير فعلمنا انها لم تصدر الا عنه وقد كان لها الوقع الجميل فى نفوس المصريين على اختلاف طبقاتهم وقد راينا له مقالة اخرى هذه المرة فى تلك الجريدة عنوانها ( مضار الشقاق ومنافع الوفاق ) تسجها على منواله المعهود وبين فيها اسباب سقوط الامم وموجبات ارتفاعها ووعد فى آخرها بنشر رسالة تتضمن إيضاح ما يوجب رفعة الامة بعد سقوطها ومن الغريب ان آراه فيما يختص بلادنا تصادف منازل الاسيتحسان عند اولياء الانكليز الاقدمين وصوبوها فى محفل حضروه مع كونها سهاما مفوقة اليهم ولكنهم لا يعقلون**

**( خلق القدرة ) مرت ايام على القائلين به رأوا فيها من الاحوال مازلزل اعتقفادهم والحق بوجوهم غبرة ترهقها قترة واولى عقولهم سباتا تليه حيرة وصيرهم يوالون من كانوا عنهم يولون خصوصا فى الاوقات التى قدم فيها من كانا غائبين ففيها كثرت قالة الناس فى هذه العقيدة وسقطت درجة اعتبارها عند من كانوا يعظمون شأنها ويتباهون بكونهم فى متابعتها من المخلصين بل جاهر الكثير منهم بتسونتها وتزييفها ولو هذه العقيدة ذات عقل او احساس لما رضيت بالإقامة فى مركزها من قلوب بعض معزلا الذين لا يقدرونها حق قدرها ولكنها تقوت من بضعة ايام وتهافت الناس على ابواب كنهها ولايصل الى ادراكها الا القليل وربما الهم الوصول اليها وادراكها من بين ( النظار ) اليها المتشوفين الى التيمن باعتقادها من لا يحسب له الناظر حسابا وزادها مهاية وقبولا عند الافهام اطلاعهم على كتاب من الكتب المؤلفة حديثا فى عقائد اهل السنة والجماعة يسمى النظام فإن ظواهر عباراته وأنفياته وإطلاقه وتقيداته كشفت للعقول ان لهذه العقيدة نفوذا مبسوطا فى مملكة الحق وان مكانها من الثبوت رفيعا**

**واظن حضرتكم اطلعت او تطلع على هذا الكتاب ولا تتأخرون عن تعليق شرح عليه يكشف نقاب معانيه ويحل رموزمبانيه فلحضرتكم شغف شديد بشرح كتب التوحيد وتوضيح مبهماتها ونود ان يكون على اسلوب الحاشية التى علقتموها على العقائد العضدية فى ( اتخاذأقرب الطرق ) الى حل الرموز وتوضيح المقصود**

**اظن الفرش وصل لحضرتكم فقد وردت إفادة إرساله منذ اسبوع طلبتم ان نوضح لحضرتكم كل ما يتفق على ما تطلبونه من المصاريف ليكون لكم الحرية التامة فى طلب وانى مع جرح خاطرى من هذا التعليل اقول : ان الكتب لم ينفق عليها الا اربعة وعشرون قرشا والفرش لا اعرف ما انفق عليه فإن الشيخ احمد الليثى غائبي وهو الذ1ى تولى ارساله من محطة مصر الى اسكندرية والذى ارسله منها الى بيروت هو قريب حضرة الوالد حسين افندى وافة هذه النفقات بالله ارجو من مكارم حضرتكم ان تعفونا من هذا البيان وكل ما ترغبون ارساله مررنا به ونحن نقوم بإرساله ونفقاته نقيدها فى دفتر مخصوص وفى اى وقت نحاسبكم على مقتضاه والحمد لله عندنا فلوس كثيرة لا نحتاج الى ان ترسلوا لنا شيئا منها الان فقد شرعنا نتوكل فى بعض القضايا ولا يخفى على حضرتكم وذلك بمعونة ومشاركة منبع الصفا وعلى الله نجاح المأمول تكلم حضرة الوالد منبع الصفا مع قيبه فى شأن ارسال مصطفى بالطريقة التى اشرتم اليها فوعد بأنه عند توجهه الى اسكندريه بتكلم مع الحاج سعد الله حلابة فى ذلك ويفيد حضرة حسن افندى وقد توجه من يومين وينتظر حضوره غدا او بعد غد وهنالك ننظر ما يكون**

**ضمن هذا مكتوب من حضرة الشيخ محمد المزين**

**يسلم على حضرتكم جميع من تعرفون اسماءهم فى رسائلها وحضرة محمد افندى الالفى والشيسخ العيدروس شاة بندر تجار الزقازيق وحضرة منبع الصفا والشيخ جسن اخوه والسيد امين وثابت افندى وفتحى افندى ونحن نسلم على حضرة عارف افندى وقد سررنا كل السرور بإزاحته من علته زاده الله صحة فوق صحته وبارك فى فى عافيته وعلى حضرة ابراهيم افندى جاد وعلى حضرة ( استاذنا ) محمد افندى الصدر وحضرة حسن افندى يسلم على جميعهم امتع الله عيون البلاد بعودتكم جميعا اليها والسلام**

**( 27 ج ) كاتبه ولدكم / سعد زغلول**

**تلك هى الرسالة الثالثة التى تحدث فيها سعد زغلول حديث الباحث فى علم الكلام المنقب عن اراء العلماء ( النظار ) فى مذاهب المتكلمين من اهل السنة والجماعة والطالب من استاذه الفاضل ووالده الكامل شرح ما اغلق عليه من مباحث هذا الفن من فنون الاعتقادات**

**وهكذا توالت المراسلات بين الاستاذ الامام وبين الشيخ سعد زغلول مفصحة عن المكانة الممتازة والمتميزة لسعد فى طليعة مدرسة الاستاذ الامام وحزبه وهى مراسلات جديرة بدراسة خاصة تحلل مضامينها وتستخلص دلالاتها وتكتشف اضافتها الى تاريخ تلك الحقبة وما شهد من احداث جسام**

**كذلك ارسل الاستاذ الامام سنة ( 1305 – 1888 م ) من بيروت مقالة عن الوحدة الوطنية فى مصر ارسلها الى سعد زغلول ليعيد نشرها فى الصحف المصرية**

**ومنذ عودة محمد عبده من المنفى الى ارض الوطن اواخر سنة 1206 – 1888 م كان سعد زغلول فى طليعة المواظبين على حضور ندوته بمنزله فى ضاحية عين شمس كما كان محمد عبده هو صاحب اقتراح تعينه نائب قاض فى محكمة الاستئناف سنة 1892 م وكانت مؤهلات سعد زغلول حتى ذلك الحين هى مؤهلات الشيخ سعد دراسته الشرعية الازهرية وخبرته العملية فى المحاماة والتى تاسست هى الاخرى على دراسته الشرعية الازهرية ذلك انه لم يكن قد درس بعد الحقوق ولا حصل على الليسانس فيها فلقد بدا تعلم الفرنسية فى صيف 1892 والتحق بجامعة باريس اوائل 1896وحصل على ليسانس الحقوق منها فى يوليو 1897 فالازهر وثقافته الشرعية هو الذى اهله للعمل بالقضاء**

**وكما تحدث جمال الدين الافغانى عن محمد عبده باعتباره انجب تلاميذه واقربهم الى عقله وقلبه ورغم الدور الريادى والقيادى الذى نهض به الشيخ محمد رشيد رضا ( 1282 – 1354 / 1865 – 1935 ) فى جمل رسالة هذه المدرسة الاصلاحية الى العالم الاسلامى من خلال مجلة المنار وهو الدور الذى جعل الشيخ رشيد ايرز اركان التوجه الدينى لمدرسة الاستاذ الامام فإن سعد زغلول بشهادة الشيخ رشيد رضا نفسه كان التجلى لمدرسة الافغانى ومحمد عبده ورائد الجناح المدنى لهذه المدرسة الاصلاحية وبعبارة الشيخ رشيد فلقد ظهرت روح الشيخين جمال الدين الافغانى ومحمد عبده فى اعمال تلاميذهما ومن اشهرهم سعد زغلول الذى اصبح عميد الحزب المدنى للاستاذ الامام واقوى اركانه**

**وكما كانت الدراسة الازهرية الشرعية الفقهية والعربية والادبية هى المكون والمؤهل لسعد زغلول المؤلف فى فقه المذهب الشافعى والداعية لإصلاح الازهر والكاتب عن الحرية والشورى وداعية الجهاد الازهرية وثقافتها الشرعية هى التى علمت سعد زغلول الاستقلال الفكرى الذى طبع شخصيته وكل مواقفه وقراراته وافكاره فى كل ميدان الحياة التى عاشها وجاهد فيها على تنوع وتعدد هذه الميادين**

**ولقج تحدث هو فى مقام الاعتراف بفضل الدراسة الازهرية عليه عن هذه الخصيصة من خصائص الدراسة الازهرية التى كانت تتيح للطالب حرية اختيار الاستاذ والشيخ الذى يتتلمذ عليه واختيار العلوم التى يتفقه فى دراستها وكذلك أثرت صعوبة اساليب الكتب التى كانت تدرس وعمق القضايا الاصولية التى تحتويها هذه الكتب اثر كل ذلك فى تدريب الطلاب على امتلاك مواهب ومؤهلات " الغوص " وراء المعارف والحقائق والافكار فى صبر وكثابرة وجهد وأناة**

**تحدث سعد زغلول باشا حديث المعترف بفضل هذه الدراسة الازهرية على استقلاله الفكرى فقال وهو زعيم الامة بعد عودته من اوروبا 1921 م عندما ذهب الى الجامع الازهر معترفا بفضل الازهر عليه وفضله الكبير فى ثورة 1919 م فخطب بالجامع الازهر حيث درس فقال :-**

**جئت اليوم لأؤدى فى هذا المكان الشريف فرض صلاة الجمعة واقدم واجبات الاحترام لمكان نشأت فيه وكان له فضل كبير فى النهضة الحاضرة تلقيت فيه مبادىء الاستقلال لان طريقته فى التعليم تربى ملكة الاستقلال فى النفوس فالتلميذ يختار شيخه والاستاذ يتأهل لتدريس بشهادة من التلاميذ الذين كانوا يلتفون حول كل نابغ فيه ومتأهل له يوجه اليه كل منهم الاسئلة التى يراها فإن أجاب الاستاذ وخرج ناجحا من هذا الامتحان كان أهلا لأن يجلس مجلس التدريس وهذه الطريقة فى الاستقلال جعلاتى اتحول من مالكى الى شافعى حيث وجدت علماء الشافعية فى ذلك اتلوقت أكفأ من غيرهم وجدير بالملاحظة ان هذا الاستقلال الفكرى الذى جعل سعد زغلول الطالب الازهرى يفضل المذهب الشافعى على المذهب المالكى الذى هو الغالب على مسقط رأسه ومحيطها الجغرافى بسبب تفضيله علماء المذهب الشافعى لم يؤثر عليه ان مذهب استاذه وشيخه ومربيه محمد عبده كان المذهب الحنفى فالاستقلال الفكرى كان ثمره من انضج واعظم طرق التدريس الازهرية فى ذلك الحين**

**وعندما اصبح الشيخ سعد سعد باشا وتولى نظارة المعارف العمومية تحققت على يديه اصلاحات جذرية كانت بنودا فى برنامج المدرسة الاصلاحية التى تبلورت من حول جمال الدين الافغانى والامام محمد عبده**

**فلقد أنشسأ مدرسة القضاء الشرعى 1907 م لتكون مع مدرسة دار العلوم ديوان الاصلاح الدينى والاتجديد والاجتهاد فى علوم الشريعة الاسلامية وفى علوم العربية هذه المدرسة التى سبق ودعا الى انشائها سنة 1887 م منشىء دار العلوم سنة 1871 على باشا مبارك ( 1239 – 1311 / 1824 – 1893 م ) لتكون اداة لتجديد وتقنين الفقه الاسلامى حتى تقاوم الامة بهذا التجديد والتقنين تغريب القانون وعلمنته وهو نفس المقصد الذى سعى اليه الامام محمد عبده عندما اراد انشاء القسم القضائى فى الازهر الشريف فلما تعذر انشاء هذا القسم القضائى بالازهر لفرط حذر التيار المحافظ بين شيوخ الازهر مناى تجديد خوفا من ان يخدم التجديد التغريب أنشأ زغلول هذه المدرسة " مدرسة القضاء الشرعى " لتحقق هذه المقاصد القومية وجعلها تحت نظر الشيبخ حسونة النواوى ( 1255 – 1343 / 1840 – 1925 / ) إبان مشيخته الثانية للجامع الازهر تحقيقا للصلة بينهما وبين المؤسسة الام للعلم الاسلامى وجعل الدراسة الفقهية فيها على المذاهب الاسلامية المختلفة وليس فقط للمذهب الحنفى كما كان يريد الخديوى عباس حلمى الثانى ( 1291 – 1363 / 1874 – 1944 م ) فحقق سعد زغلول بذلك مذهب استاذه محمد عبده الذى دعا اليه فى تقريره الشهير عن اصلاح القضاء الشرعى**

**كذلك رد سعد زغلول ناظر المعارف العمومية بعض عدوان اللغة الانجليزية على لغة القرآن الكريم فى المدارس الاميرية وكتب فى مذكراته بتاريخ 10 مايو 1909 م يقول " يجب ان تكون غاية عملى جعل التعليم اهليا اى باللغة العربلية فى المدارس المختلفة "**

**وكذلك اكثر من انشاء الكتاتيب فى القرى والمدن وضاعف الاعانات المالية المخصصة لها**

**واذا كان الازهر قد قاد بواسطة علمائه وطلابه معارك الدفاع عن الاسلام واذا كانت المعارك الفكرية التى قادها علماء الازهر وطلابه ضد كتاب الاسلام واصول الحكم الذى كتبه الشيخ على عبد الرازق ( 1305 – 1386 / 1887 – 1966 م ) سنة 1925 وضد كتاب فى الاشعر الجاهلى الذى كتبه الدكتور / طه حسين ( 1306 – 1393 / 1889 – 1973 م ) سنة 1926 إذا طانت المعارك قد غدت من اخطر واشهر المعارك الفكرية للقرن العشرين بل لقد ظلت محور اغلب معاركنا الفكرية حتى هذه اللحظات فلقد كان سعد زغلول زعيم الامة ورئيس مجلس النواب فى ذات الموقع الفكرى للازهر وعلمائه ضد محاولات على عبد الرازق ( علمنة الاسلام ) وضد جموح طه حيبن للتشكيك فى بعض ماورد بالقرآن الكريم أى ضد أخطر التحديات التغريبية التى تواجه العرب والمسلمين واذا كان العديد من علماء الازهر الشريف قد كتبوا الكتب والدراسات والمقالات والقوا الخطب والمحاضرات فى تفنيد دعاوى صاحب ( الاسلام واصول الحكم ) فإن رأى سعد زغلول فى هذا الكتاب كان أقسى من راى كثير من هؤلاء الشيوخ العلماء ولقد اشار فى ثنايا نقده لهذا الكتاب الى الازهر الشريف العلماء والى ثمرات العلم الذى تعلمه فيه واستغرب جهل على عبد الرازق الازهرى بهذا العلم الشرعى الذى قدمه الازهر لطلابه عن شمول الاسلام للدين والدنيا وللمرجعية الشرعية والمدنية جميعا**

**تلك واحدة من ابرز الصفحات المشرقة فى كتاب فكر وعلم الشيخ سعد زغلول باشا ابن الازهر الشريف وثقافته الشرعية وهى الصفحة التى يتجاهلها العلمانيون الذين يريدون ( سرقة ) سعد زغلول ( اختطاف ) الثورة التى قادها سنة 1919 م الى حظيرة العلمانية وتجريد الاسلام وشريعته من صلاحيته فى تدبير الحياة والاجتماع والدولة والسياسة والافتصاد**

**وهى صفحة يجهلها مع الاسف الشديد كثير من الاسلاميين فيساعدون بهذا الجهل العلمانيين على السرقة والاختطاف**

**اما موقف سعد زغلول من كتاب طه حسين فى الشعر الجاهلى والذى شكك فيه بعدد من العقائد التى وردت فى القرآن الكريم من مثل : علاقة الاسلام بملة ابراهيم عليه السلام وفى المرحلة الحجازية لإبراهيم واسماعيل عليها السلام وفى اقامتهما ورفعهما قواعد البيت الحرام فيشير اليه سكرتيره محمد ابراهيم الجزيرى ايضا عندما يكتب فيقول عن سعد زغلول**

**" وكان رحمه الله يرقب باهتمام ماينشر من الكتب الحديثة بمصر فيكلفنى شراءها ويقرأ منها ما تسمح به الفرصة**

**وقرأت له كتاب ( الاسلام وأصول الحكم )للاستاذ على عبد الرازق ( وزير الاوقاف فيما بعد ) وادلى الى برأى فيه سجلته عندى وسأورده فى هذه المذكرات وكذلك قرأت له كتاب المرحوم الاستاذ مصطفى صادق الرافعى ( فى إعجاز القرآن ) وكتاب الدكتور طه حسين ( فى الشعر الجاهلى ) ورد المرحوم الاستاذ محمد فريد وجدى عليه ومحاضرات المرحوم الشيخ محمد الخضرى بك فى نقده واذكر انه رحمه الله اعجب كل الاعجاب بكتاب الاستاذ محمد فريد وجدى هذا وكان قد وضعه فى نقد كتاب ( فى الشعر الجاهلى ) واهدى الى الرئيس نسخة منه فلما قرأها كتب الى الاستاذ وجدى هذا الكتاب البليغ التالى :**

**" حضرة الاستاذ الفاضل محمد فريد وجدى وصلنى كتابك الذى وضعته فى نقد كتاب ( فى الشعر الجاهلى ) وتفضلت بإرساله إلى وقرأته فى عزلة تجمع الفكر وسكون يحرك الذكر فراقنى منه قول شارح للحف ومنطق يقارع بالحجة فى أدب رائع وتحقيق دقيق فى اسلوب شائق واخلاص كامل للدين فى علم واسع وانتصاف للحقفيقة فى احترام فائق ومجموع من هذه الخصال اسمليت منه قلبا فياضا بالايمان وعقلا مثقفا بالعرفان ونفسا محلاة بالادب فقررت عينا بوجود مثلك بيننا ورجوت الله ان يكثر من امثالك فيناوان يجازيكم على ما تصنعون بتوفيق الباحثين والمتناظرين لاحتذاء مثالكم فى دقة البحث وادب المناظرة وإنكار الذات والانتصار للحق وباوفيق الناس لاستماع اقوالكم واتباع احسنها والسلام على المهتدين "**

**16 اكتوبر 1925 سعد زغلول**

**فلقد قرأ سعد زغلول رد الاستاذ محمد فريد وجدى على كتاب طه حسين ( فى عزلة تجمع الفكر وسكون يحرك الذكر ) وأعجب كل الاعجاب بهذا الكتاب شكلا ومضمونا اسلوبا ومنطقا ادبا فى التعبير وحجة تفنيد دعاوى الخصم كما اعجبه فيه ( فيض الايمان ) الذى حرك صاحبه للدفاع عن الاسلام و ( العقل المثقف بالعرفان ) الذى جعل من فريد وجدى نموذجا تمنى سعد زغلول ان يحتذيه المتناظرون والباحثون الساعون لانتصار الحق على الباطل فى عالم الافكارواذا كما قد لااينا قوة الحق عند سعد زغلول فى نقده لكتاب الشيخ على عبد الرازق عندما اتهمه بالجهل بالدراسة الازهرية وعلوم الشريعة الاسلامية وبالسعى لهدم قواعد الدين الاسلامى فلقد كانت قوة الحق هذه متجلية ايضا فى موقف سعد زغلول من اجتراء طه حسين على القرآن الكريم فى كتاب فى الشعر الجاهلى فعندما زحفت مظاهرة طلابية غاضبة على هذا الكتاب وصاحبه الى بيت الامة خطب زعيم الامة فى هذه المظاهرة مستنكرا ما جاء فى هذا الكتاب وبلغت به الادانة والاستنكار الى الحد اتلذى تمثل فيه وهو يصف صاحب ( فى الشعر الجاهلى ) بشطر بيت الذى يقول :**

**وماذا علينا إذا لم يفهم البقر ؟!**

**هكذا تجلت ثمرات الازهر الشريف فى فكر وحياة ومواقف سعد زغلول وهكذا كان الشيخ سعد زغلول باشا ابن الازهر الشريف عليه رحمة الله**